

* انتشار الإسلام في غرب إفريقيا:

يقصد بغرب إفريقيا المناطق التي تشغلها الآن بلاد موريتانيا والسنغال وغانا وغينيا ومالي، والتي تمتد شرقاً لتتصل بأراضي السودان عند النيجر وتشاد.

وقد كانت هناك صلات وثيقة بين بلاد المغرب وإفريقية الغربية، وكان المحيط الأطلسي وطرق القوافل البرية والبحرية تربط بين بلاد المغرب وغرب إفريقيا برباط وثيق، فقامت علاقات برية وبحرية لم تتوقف في عصر من العصور.

وعندما انتشر الإسلام بالشمال الإفريقي، في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تخطى الإسلام الصحراء في عهد الخلفاء من بعده وزحف خلفها، وقامت بغرب إفريقيا دول إسلامية كانت معاصرة لدولة الخلافة الأموية بالأندلس التي أقامها عبد الرحمن الداخل عام ١٣٨هـ / ٧٥٥م. ولدولة الأدارسة بالمغرب (مراكش الحالية) والجزء الغربي من الجزائر فيما بين ٢٢٢ - ٣٠٦هـ / ٨٣٦ - ٩١٨م.

وكانت الدولة الإسلامية الثالثة بغرب إفريقيا معاصرة لأزهى عصور الأمويين بالأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٦٠هـ / ٩١٢ - ٩٧١م، ولخلافة الفاطميين بالمغرب ٢٩٧ - ٣٦٢هـ / ٩٠٩ - ٩٧٣م، ثم كانت نهضة إسلامية أقامها ابن تيفات واستأنفها من بعده خليفته يحيى بن إبراهيم الجدالي.

وقد ساعدت الهجرات من الشمال إلى الجنوب على انتشار الإسلام بين الزنوج في تلك المناطق، ومنها شرقاً إلى السودان.

وكان لجامعات القيروان بتونس والقرويين بفاس بالمغرب، ولعاهد تلمسن بالجزائر، وللجامع الأزهر وجامعته - دور كبير في نشر الإسلام بتلك المناطق عن طريق استقبال الوافدين منها، وعن طريق إرسال بعوث المعلمين والأساتذة، مما كان له أثر كبير في نشر الإسلام خلف الصحراء.

ومن العوامل التي كان لها فضل كبير في انتشار الإسلام بغرب إفريقيا الطرق الصوفية، فقد دخلت الطريقة القادرية لمؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني المولود بجيلان (أذربيجان) عام ٤٧١هـ / ١٠٧١م - إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر الميلادي على يد مهاجرين كانوا يتخذون واحة توات بجنوب غربي المغرب مركزاً لهم، ثم انتقل هؤلاء إلى ولايات بجنوب شرقي موريتانيا، فجعلوها منها أول مركز لطريقتهم، ومنها انتقلوا بعد حين إلى تمبكتو بدولة مالي حالياً.

ولم يكن تأثير الطريقة الصوفية التيجانية أقل شأنًا من الطريقة القادرية؛ فقد كان لها أنصار عديدون في الصحراء الكبرى وغرب إفريقيا ووسطها، بل ذهب قادة هذه الطريقة للوعظ في بلاد الهوسا، غربي تشاد، جنوب الصحراء الكبرى وهي نيجيريا حالياً، ومنها غرباً إلى فوتاجالون.

وكان للشيخ عمر الفوتي أحد أئمة الطريقة التيجانية حملات واسعة تنشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين في حوض النيجر والسنغال . وكان يحكم إمبراطورية واسعة ، تمتد من تمبكتو إلى المحيط الأطلسي .

وكان عمر الفوتي متمسكاً بالشرع في حربه وسلّمه ، عالماً عاملاً ذا بصيرة في دينه ، لم يشغله الجهاد عن تدريس العلم لجيوشه ، وقد قتل في إحدى غزواته عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٥م .

وهناك ثلاث ممالك إسلامية ظهرت بإفريقية ، وتعد الممالك الإسلامية الأولى بعرب إفريقية ، وتشمل :

- مملكة غانا: ويرجع تاريخها على أنها مملكة وثنية للقرن الأول الميلادي ، وظلت لأكثر من عشرة قرون في حياة الوثنية ، ثم دخلت في الإسلام .
- مملكة صنغي: ظهرت على أنها مملكة وثنية في القرن السابع الميلادي ، ودخلها الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي .
- مملكة مالي الإسلامية: نشأت على أنقاض مملكة غانا في القرن الثالث عشر الميلادي .

وسوف نفرد لكل منها حديثاً خاصاً في الصفحات التالية . على أنه قد لا توجد أية صلة بين الوحدات السياسية القائمة الآن في غرب إفريقية وتلك الممالك الإسلامية الأولى ، لا في الحدود الجغرافية ولا في السكان ، فقد تعرضت تلك الممالك لغزوات استعمارية من البرتغال والأسبان والفرنسيين والإنجليز والألمان

كان من نتائجها إعادة تقسيم الحدود . وإنشاء وحدات سياسية جديدة . ومثلاً لذلك فإن غانا الحديثة لم تكن قط جزءاً من غانا القديمة ، بل لم تسكن قبائل السوننكي) ولا الماندنجو غانا الحديثة بحال من الأحوال .

وسوف نفرّد بعد ذلك بياناً بالدول الإسلامية الحالية في غرب إفريقية بتسمياتها الحديثة .

الإمبراطوريات الإسلامية القديمة في غرب إفريقية صُنْغِي:

ظهرت دولة صُنْغِي في القرون الميلادية الأولى ، وكانت وثنية حتى عام ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م عندما اعتنق ملكها الإسلام . وعاصرت صُنْغِي إمبراطورية غنة وإمبراطورية مالي .

وكان سكان صُنْغِي يعيشون على شاطئ نهر النيجر في الجزء الممتد من الانحاء إلى قرب المصب تقريباً ، شمال غربي نيجيريا ، وشمال داهومي (بنين حالياً) . وكان قسم منهم يشتغل بصيد الأسماك وقسم آخر يشتغل بالزراعة .

وفي نحو عام ٧٠٠م وفدت إلى صُنْغِي هجرة من قبائل البربر في الشمال استطاع قائدها أن ينشر الأمن في البلاد ، ويعلن نفسه ملكاً ، وكان يحمل اسم (وا) الأيمن (أي اليمنى) ، واعتنق الملك الخامس عشر من سلالته واسمه (زاكوسوتي) الإسلام في عام ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م . وكان ذلك قبل غزوات المرابطين لهذه